# منهج الإسلام

■■ يميل الإنسان بطبعه إلى الجري وراء ما يكشف له غموض المستقبل ، لأن غريزة الخوف عنده تستحوذ على مشاعره ، فتدفعه إلى الجري وراء كل صوت يعطي له الأمل في معرفة ما يحدث في الغد ، وتسلب إرادته أمام الذين يدعون أنهم قادرون على كشف غموض المجهول ، فيسير وراءهم دون اعتراض ، على مسلك يسلكونه ، حتى ولو كان مضاداً للعقل ، أو متناقضاً مع نصوص الأدلة الشرعية التي يؤمن بصحتها ، ويعتقد سلامتها من التناقض ، أو التنافر مع متطلبات الحياة .

وقد أورثته هذه الغريزة حب الاستطلاع ، فاندفع في سبيل إشباعها في كل طريق يوصله إلى المعرفة ، أياً كانت هذه المعرفة ، فهو دؤوب في الكشف عن أسرار الطبيعة ، ومجد في معرفة ما يدور حوله من أحداث ، وحريص على الوصول إلى كنه الوجود وعلته وحقيقته ، مهما كلفه ذلك من جهد ومال ، فهو يركب الصعاب في سبيل الحصول على معلومة توضح له جانباً من جوانب الغموض في حياته ، ويتحمل المشاق جرياً وراء حل لغز من ألغاز الأحداث التي تدور حوله ، ويستصغر المخاطر إذا بدت له بارقة أمل في إزاحة الستار عن شيء يجهله ■■

بقلم : الدكتور محمد شامة

ولم يقتصر الإنسان في إشباع هذه الغريزة على تتبع مصادر المعرفة ، التي تتعلق بالوجود ، وبأسرار الطبيعة فقط ، بل جاوزها إلى السعي إلى كل مصدر يعطيه نبأ لم يعرفه ، ويمده بخبر يسلط أضواء على جانب مجهول لديه ، أياً كان نوعه .. سواء أكان متعلقاً بأحداث الدول والشعوب ، أو بأحوال الأمم والمجتمعات ، أو كان متصلاً بأسرار الأسر وخصوصياتها ، أو بحياة الأفراد وعلاقاتهم الشخصية ، فهو يميل إلى التجسس لمعرفة ما يدور خلف الأبواب ، وينصت بسرور إلى من يمده بأخبار الناس ، خاصة إذا كانت هذه الأخبار تتعلق بشخصيات عامة في مجتمعه ، أو لها علاقة به ، وفي تشوق سروره بسماع هذه الخصوصيات يصدق كل ما يقال له ، دون تمحيص أو تدقيق ، بل قد تدفعه دوافع خفية في نفسه إلى ترديد ما سمعه مؤكداً على ما يدفع السامع إلى تصديقها ، وإن اقتضى الأمر الاعتراف بأنه شاهدها بنفسه ، فإنه لا يتردد في ذلك .

**تنكب الإنسان الطريق في سبيل إشباع هذه الغريزة ، فسلك طرقاً غير مستقيمة قادته إلى مسالك الضياع والهلاك ، وقذفت به إلى واد سحيق ، لا يهتدي فيه إلاَّ إلى التخبط في الظلمات ، والتردد بين أمواج الشك والتشكيك** ، والوقوع في مآزق لا يستطيع التخلص منها إلاَّ بعد أن يفقد المال والجاه ، ويضحي بالنفس والنفيس ، ويتجرد من السمعة الطيبة والصفات الحميدة ، **فيقف عارياً من كل ما يستره من ثبات في القلب** ، وأمان في مصدر المعرفة ، وفضيلة وكرامة بين أهله وبني وطنه .

## حصاد الهشيم ...

ففي جانب الجري وراء معرفة المجهول ، لم يجد ما يبتغيه ، ولم يحصل على ما يزيل عنه الخوف من المستقبل ، بل وقع في حبائل المنجمين الذين لا يعرفون شيئاً مما يقولون ، إنما هي ألفاظ غامضة ، وعبارات لا تؤدي معنى ، وأحكام لا تتفق ومقتضيات العقل ومتطلبات الحياة ، امتلأت بالأوهام ، وخلت من الحقائق ، فغلفت بالأماني الكاذبة والآمال الخادعة ، فمن يصدقها هو في ظلمات بعضها فوق بعض ، فقذفت به أمواج الضياع والهلاك .

**وفي مجال البحث عن أسرار الطبيعة ، وكنه الوجود ، تجاوز حدود القدرة الإنسانية فصدق ما يقال له عما وراء الطبيعة ، ناسياً أن من يخبره عن ذلك عاجز عن الوصول إلى المجال الذي يتحدث عنه ، فليس ما يقوله سوى استنتاجات لا أصل لها ، وأقيسة لم يتوصل الإنسان بعد إلى التأكد من صدقها .**

أما في المجال الثالث ـ وهو المتعلق بسعي الإنسان وراء معرفة الأنباء التي تتعلق بالحياة الإنسانية وتصديقها دون تمحيص أو تدقيق ، فقد ارتكب الإنسان فيه حماقات أثرت على سلوكه في المجتمع ، إذ مال إلى تصديق كل ما يقال له ، فوقع بذلك في مشاكل اجتماعية وأخلاقية لا حصر لها ، وتسبب سلوكه هذا في تدمير سمعة أشخاص ظلماً وعدواناً ، وفي إشعال المعارك بين الأفراد والأمم ، أتت على الأخضر واليابس ، وسقطت فيها ضحايا بريئة ، فتحطمت بسببها نظم دولية ثابتة ، وأسر ذات قدم راسخ في ساحات الفضيلة والشرف والكرامة .

## موقف الإسلام ...

ووقف الإسلام من هذه الظاهرة بشعبها الثلاث موقف المعالج للإنسان ، فلم يأمره بانتزاع هذه الغريزة . لأن ذلك محال ، ولم يفرض عليه من الوسائل ما يكبتها في قلبه ، لأن ذلك ضد الطبيعة